**نظريات الإبداع الأدبي**

**1- نظرية المحاكاة:**

إنَ عرض النَظريات الأدبية منذ القرن الرَابع قبل الميلاد إلى اليوم قد يعين الدّارس والمؤرّخ على فهم الأعمال الأدبية وتحليلها ونقدها.

**نظرية المحاكاة عند أفلاطون:**

ظهرت نظرية المحاكاة أوَل - نظرية في الأدب – في القرن الرَابع قبل الميلاد، وقد صاغ مبادئها **أفلاطون**، ومن بعده تلميذه **أرسطو، وتعدّ آراء أفلاطون** حول الشّعر والشّعراء والفن عامة البداية في تاريخ **نظريّة الأدب** بالعالم أجمع، تحدّث أفلاطون عن فنّ الشعر في كتاباته المتعددة التي جاءت على شكل **محاورات** وأهمَها: "محاورة أيون" ومحاورة الجمهورية" و"محاورة القوانين".

يرى **أفلاطون** أنَّ كل الفنون قائمة على التَقليد (محاكاه للمحاكاة) منطلقا من فكرة أن الوعي أسبق إلى الوجود من المادة (منطق الفلسفة المثالية)، لذلك يرى أن الكون مقسّم إلى عالمين:

- عالم مثالي أو **عالم المثل** الذي يتضمَن **الحقائق المطلقة والأفكار الخالصة**، والمفاهيم الصَافية النَقية، والعالم الطبيعي أو عالم الموجودات فهو بكل ما يحتويه من أشياء وأشجار وأنهار وأدب ولغة... مجرد صورة مشوّهة ومزيّفة عن عالم المثل الأوّل الذي خلقه الله، بتعبير آخر **إنّ العالم الطبيعي محاكاة لعالم المثل والأفكار الخالصة، فهو ناقص ومزيَف وزائل** لأنه يشوه الحقيقة ولا ينقلها كما هي، نقدّم مثال على الأشجار الموجودة في العالم الطَبيعي فإنّ تعدّدها علامة على عدم تطابقها مع تلك الفكرة الخالصة، وعلامة على أنَها ناقصة ومشوَهة، ثمَ يأتي الفنان أو الشاعر فيحاكي العالم الطبيعي المحسوس فيصبح عمله محاكاة لما هو محاكاة أصلا وبالتَالي فهو يبتعد عن الحقيقة (الحقيقة في عالم المثل) بعدا شديدا.

إن موقف أفلاطون الفلسفي والأدبي يتمثل في أنّ الله هو الذي يخلق الفكرة (فكرة السَرير مثلا الحقيقة المطلقة الخالصة في عالم المثل)، ثمَ يأتي النَجار ويحاول أن يحاكي تلك الفكرة، وبديهي أن لا يكون التَطابق كاملا بينهما لذلك يبقى عمل النَجار ناقصا، ثمَ يأتي الشَاعر فيحاكي ما قام به النَجار، فيصبح عمله **محاكاة للمحاكاة**، و يبتعد عن الحقيقة الخالصة بدرجات، وهنا يقول أفلاطون أن عمل الأديب يشبه عمل المرآة، ولذلك فهو لا يقدّم سوى صورة مزيَفة لا حاجة لنا بها لأن ما نحتاجه هو **الأصل**، وإذا قام الشَاعر بتصوير تلك الظَواهر بشكل غير حرفي بحيث **يزيد عليها أو ينقص**، فيصبح غير صادق فيما ينقل، ويضيف أفلاطون في محاورة الجمهورية بأنَ الشَعراء لا يعرفون أصلا أيّ معلومات عن الموضوعات التي يحاكونها...

فالشَاعر بعيد تماما عن استخدام العقل، وبالتَالي فهو بعيد عن الحقيقة التي يعدّ أفلاطون ها أسمى الغايات لذلك يتحدد مكان (قيمة) الأدب عنده بمقدار ما يقدّمه في مجال هذه المعرفة، هذه المعرفة أو الحقيقة عنده لا تلتمس من خلال الحواس (العواطف)، لذلك فإنَ أفلاطون يرفض الشَعر والفنَ لأنَه لا يعالج الحقيقة بل يكتفي بتمثيل معطيات الحواس التي هي في حدّ ذاتها صورة ممسوخة للحقيقة وبعيدة عنها بدرجتين، فالحقيقة لا تلتمس عند الشَعراء بل عند الفلاسفة، لأنَ الشَعراء يخاطبون العاطفة أكثر ممّا يخاطبون العقل.

قدَم أفلاطون مثال "السَرير":

- سرير صنعه الله (هو الأصل) سرير واحد في عالم المثل.

- سرير صنعه النجار عالم الطبيعة

- سرير صنعه المصور

فالسرير الموجود في الحقيقة انطلق من الأصل (سرير عالم المثل) قبل أن يتجسّد في عالم الطبيعة، إذن هناك ثلاثة أسرّة، سرير عالم المثل (خلقه الله) والثاني أنتجه النجار فهو أقرب من السرير الأول فهو مقلد بدرجة، إذن يبتعد عن الحقيقة بدرجة، والسرير الذي صوره الفنان يبتعد عن الحقيقة بدرجتين.

وفي الأخير يقول أفلاطون إنَ الفنون مبنيَة أساسا على القليد، منها الشعر والنَثر.

يُعدُّ **أفلاطون** أوَل من ميَز بين **النَقد الأخلاقي والنَقد الجمالي،** وقد اهتم بالنقد الأخلاقي، أي تأثير الفن والأدب على سلوك النَاس، واعتبر هذا التَأثير غير صالح لذا طرد الشّعراء من جمهوريته أو على الأقل قام بضبط أعمالهم ومراقبتها، وللسبب نفسه لم يعطِ مكانة للشّاعر كرجل القانون ورجل الحكومة. لكنه لم يرفض كل الشعراء من جمهوريته، فتلك التي لا توافق الأخلاق يرفضها، أما الشعراء الذين يخدمون الأخلاق لا يخرجهم من جمهوريته. يرفض **نظرية الفن للفن** ويقول **الفن للأخلاق**.

لذا يفضّل أفلاطون الملحمة، حيث اعتبر **الفن القصصي** أفضل لأن **الملحمة** تثير عاطفة الإعجاب بأبطالها، ولا يفضل التراجيديا لأنَها تثير عاطفتي الشفقة والخوف، وبالتالي تجعل الناس أكثر ضعفا، كرّس النّفعية في الأدب لهذا تتّضح نظرة أفلاطون **المعيارية.**